صراع مع الإخوان

- حسن البنا يحذر من نتائج حل الإخوان.
- لماذا كان فاروق يحب أن يظهر محبا للدين مرتديا مسوحه ؟
- كشف باسماء الإخوان كان سلاح جمال عبد الناصر للقبض عليهم.
- النقراشي قال: إني أعرف ديتها فصدقت نبوءته وقتل في اليوم التالي.

كنت معتادا أن أتوجه كل يوم جمعة إلى حلوان حيث منزل الأسرة لأقضى يوم العطلة وأنعم بدفء حلوان وشمسها فى أيام الشتاء. وفى يوم جمعة من شتاء عام ١٩٤٧ وكنت مديرا للأمن العام. تأهبت للخروج لأتمشى فى الصحراء التى تفصل حلوان عن المنيل. وعند الباب رأيت شخصا واقفا تقدم إلىَّ يحييني. فسألته من هو؟ فقال إنه يحمل إلىَّ رسالة من الشيخ حسن البنا. وسلمنى إياها. فتحتها فوجدت أن الأستاذ قد حضر إلى حلوان ليلقى خطابا فى حفل تقيمه جماعة الإخوان وأنه علم بوجودى فى حلوان ويريد مقابلتى الساعة الخامسة بعد الظهر إذا رأيت ذلك مناسبا. وإلا فلنحدد موعدا آخر للقاء. أخبرت الرسول أنى فى انتظار الشيخ الساعة الخامسة. وقد بدأت علاقتى بالمرحوم الشيخ البنا حين حضر لمقابلتى فى وزارة الداخلية ليطلب منى أن أراجع قرار عقوبة وقعها على أخيه رئيسه الذى كان يعمل برتبة كونستابل فى البوليس. لمخالفة ارتكابها. ولما راجعت أسباب العقوبة، قلت له إن رئيسه محق فى توقيع العقوبة. فقال أرجو أن تسامحه، وسأحاول أن أهديه لكيلا يعود إلى مثلها. وأذكر أنى قلت له: إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء. فأطرق قائلا نعم نعم، قلت له: سأوقف تنفيذ العقوبة ولا أرفعها، فإذا مضى زمن وحسن سلوكه فإنى سأرفعها. وشكرنى وانصرف.

وفى الساعة الخامسة حضر الأستاذ البنا وكان ذا لحية لا هى طويلة ولا هى قصيرة خفيف الخطى سريع الحركة والكلام، آية فى الذكاء. يركز عينيه اللامعتين على محدثه ثم يخفض وجهه ثم يعود إلى التحديق. وكان دمث المعشر حلو الحديث لا يمل منه الإنسان. إذ إن طبيعته الدينية خلت من التزمت. وبعد شرب القهوة وتبادل التحية، قال: اعذرنى إذا قطعت عليك عطلتك. ولكنى وددت أن أختلى بك بعيدا عن مكتبك. لأن عندى أشياء أود أن أقولها وأود منك الإصغاء إليها.

قلت: تفضل ومرحبا بك.

قال: عندى رسالة شفوية أرجو أن توصلها إلى القصر لأنى أعلم أنك الوحيد الذى ستنقلها بأمانة. لقد كنت صديقا للمرحوم والدك (يقصد الشيخ المراغى شيخ الأزهر) وقصدتك شخصيا فى موضوع، وأجبت رجائى فارتحت إليك، كما كنت أرتاح لوالدك.

قلت: وما الرسالة؟

قال: إن رئيس الحكومة يريد حل جماعة الإخوان المسلمين. وهذا قرار بالغ الخطورة وقد تكون له مغبة وعواقب وخيمة أخشى منها كثيرا. إذ إنه لابد أن يقع بيننا وبين الحكومة اصطدام عنيف، ولا شك أنك تدرك ذلك بوصفك مديرا للأمن العام. ونحن الإخوان نشعر بأن رئيس الحكومة (النقراشى باشا) قد جر الملك فاروق إلى خصومتنا، بما أرسله إليه من تقارير وضعها له عبد الرحمن عمار وكيل الداخلية تتضمن أننا نريد قتل الملك وننبذ تصرفاته.

قلت: يا أستاذ حسن هل تأذن لى أن أدبر لك مقابلة مع النقراشى باشا لعلك تستطيع فيها بلباقتك وحكمتك أن تصفى الجو بينه وبينكم؟

قال الشيخ حسن وهو يرفع يديه: لا أمل فى الوفاق معه، إنى أعرف طباعه. إنه عنيد وإذا ركب رأسه فلن يلوى على شىء. ثم إننا نستطيع أن نصبر على رئيس الحكومة لأنه قد يترك منصبه فى أى وقت، أما الملك فهو باق. أرجوك أن تحمل إليه هذه الرسالة. إن الإخوان المسلمين لا يريدون به شرا. قل له إننا لا ننبذ تصرفاته. إنه يذهب إلى نادى السيارات للعب الورق، فليذهب. وإلى النوادى الليلية ليسهر، فليسهر فلسنا قوامين عليه.

وضحك قائلا: وعلى كل حال نأمل أن يهديه الله.

الإخوان يقبلون الوزارة بلا شروط

سكت مليا، ثم نظرت إلى الأستاذ فوجدته يحدق فىَّ بنظرة نفاذة ليعرف تأثير كلامه.

قلت: يا أستاذ حسن إن رسالتك خطيرة، وسأبلغها إلى الملك، وسأبلغ رأيك فى حل الإخوان وخطورة عاقبته إلى النقراشى.

هزَّ الأستاذ رأسه وقال: إنى أعرف أنه عنيد، وسينفذ رأيه، ولكنى رجوت أن تخبر الملك عله يقنعه بالعدول عن تلك الجريمة النكراء.

وقدحت عينه شررا وقال:

نعم إنها جريمة نكراء يريد النقراشى ارتكابها. هل يظن أننا لعبة فى يده يستطيع تحطيمها بسهولة؟

وانقلب الشيخ الوديع نمرا هائجا، ولكنه عاد إلى طبيعته الهادئة حينما رآنى أنظر إليه، وضحك قائلا:

لا تؤاخذنى إذ نسيت نفسى.

قلت: يا أستاذ حسن، إن الإخوان المسلمين أصبح عددهم كبيرا، وأصبحوا قوة. وخصومكم يقولون: إنكم انحرفتم عن أن تكونوا جماعة دينية، وأصبحتم حزبا سياسيا، لأنكم تقولون: إن الإسلام دين وسياسة، فلماذا لا تتقدمون للانتخاب ليكون لكم نواب يدافعون عن وجهة نظركم؟

قال الشيخ حسن: لقد قدمنا بعض المرشحين من أعضاء الجماعة إلى الانتخابات، لا باعتبارهم إخوانا مسلمين، لأننا نعلم أن الحكومة ستعمل على إسقاطهم، ولكن كمستقلين. ولكن الحكومة عملت جهدها على إسقاطهم. أتدرى يا أستاذ مراغى متى نستطيع دخول الانتخابات بصفتنا إخوانا مسلمين؟

قلت: متى؟

قال: حين يقبل الملك أن يكون لنا فى الوزارة وزيران أو ثلاثة وزراء. عندئذ نعرف كيف نحظى بعدد من كراسى مجلس النواب.

قلت: هل يعنى أنكم تقبلون دخول الوزارة إذا دعاكم الملك من دون شروط؟

قال: نعم من دون أية شروط. لأن وجودنا ضرورى لخدمة البلد. إن برنامجنا الاجتماعى إصلاحى يقوم على أسس قوية.

قلت: يا أستاذ حسن. وماذا يصنع وزراؤكم فى رخص نوادى الميسر والملاهى والبارات والخمر؟

ضحك الأستاذ وقال: هذه قفشة لا بأس بها، ولكن تتعدل. وعسى أن يستطيع وزراؤنا إزالة ذلك المنكر.

قلت: لعل هذا من باب «والله لنخوضن إليكم الباطل حتى نصل إلى الحق». أو من باب الضرورات تبيح المحظورات.

قال الأستاذ: نعم لك الحق. لقد فهمتها جيدا وفسرتها يا أستاذ مرتضى.

□□□

وفى اليوم التالى قابلت النقراشى باشا ورويت له الرواية.

فهزّ رأسه استخفافا وقال:

كان أحسن لو لم تقابله.

قلت له: بل كان واجبا. ثم أخبرته بأنى سأرسل تقريرا إلى الملك عن مضمون رسالته له فصرخ قائلا:

إنى آمرك ألاَّ ترسل شيئا إلى الملك.

قلت: لقد وعدته.

قال: كيف تعده من دون إذنى؟

قلت: قد أكون أخطأت وأرجوك أن تبلغ الرسالة أنت إلى الملك.

وكنت بالفعل قد كتبت تقريرا بموضوع المقابلة سلمت النقراشى نسخة منه. فصرخ قائلا:

هل تريد أن تفرض على رأيك؟

قلت أعلم أنى موظف فى وزارة الداخلية، وأنت الوزير. ولكنى بصفتى مديرا للأمن العام، أقول لك: إن العواقب خطيرة.

وفى هذه الأثناء دخل عبد الرحمن عمار وكيل الوزارة، وكان النقراشى هائجا مزبد الوجه. فأشار إليه النقراشى بالجلوس، وقال:

انظر ما فعله مدير الأمن وقص عليه الرواية.

وإذا بعبد الرحمن عمار يقول:

على كل حال المسألة منتهية يا دولة الرئيس، فقد انتهيت من وضع قرار حل جماعة الإخوان المسلمين، وسأعرضه غدا على دولتكم لتوقيعه.

هالنى الأمر. فقلت: أرجو يا دولة الرئيس أن تقدر خطورة الأمر وأن تتمهل فى إصدار القرار. إن الإخوان المسلمون يشكلون منظمات وخلايا سرية لاعلم لوزارة الداخلية حتى الآن بأسماء أعضائها. وقد يكون بعضهم داخل الوزارة ومن حراس الأمن. وأنا أعلم أن كثيرين من ضباط الجيش هم من جماعة الإخوان.

قال النقراشى: هل تريد أن نقر الإرهاب وتريد أن نعترف بشرعيتهم. لأنه حكم على بعضهم بالسجن. فهل تسمح لهذه الجامعة بأن تتمادى إلى حد قتل القضاة؟ لابد لى من حل هذه الجماعة.

ثم ضحك وقال: إنى أعرف ديتها، إنها رصاصة أو رصاصتان فى صدرى.

وصدقت نبوءة النقراشى. إذ حين توجه إلى وزارة الداخلية حوالى الساعة التاسعة صباحا، وهم بدخول المصعد، تقدم منه شاب يرتدى ملابس ضابط بوليس وأطلق عليه رصاصة من الخلف

أصابت القلب وتوفى على الأثر. وكانت الوزارة من الخارج والداخل محروسة بما لا يقل عن مائتى شرطى مسلحين جميعا بالبنادق الاوتوماتيكية. والغريب أن أحدا من الذين كانوا فى بهو الوزارة وأمام المصعد لم يحاول أن يطلق على الجانى طلقة واحدة أو يحاول إمساكه. ولعل هول المفاجة أذهلهم. وخرج الضابط المزيف إلى فناء الوزارة محاولا الهروب. ولكن قبض عليه وتبين أنه من جماعة الإخوان المسلمين.

قتل رئيس محكمة الجنايات

انعقدت محكمة جنايات مصر برئاسة المستشار الخازندار وكان قاضيا يتميز بالعلم الغزير وبنزاهة لا يرقى إليها الشك، لمحاكمة جماعة من الإخوان اتهموا بحيازة متفجرات وأسلحة. وكانت القضية قد عرضت على دائرة أخرى تلقت تهديدات عديدة بالقتل إذا حكمت على المتهمين. وأخذت القضية تؤجل حتى انتهت إلى الدائرة التى يرأسها الخازندار. وطلب محامو المتهمين التأجيل. ولكن الخازندار رفض التاجيل وأصر على النظر فى القضية (على رغم تهديده بالقتل سواء برسائل أم مكالمات هاتفية) لصلابته المعهودة عنه. وحكم فى القضية بحبس المتهمين مدة طويلة بالأشغال الشاقة. وهنا صدر عليه هو حكم الإعدام من محكمة الإخوان ونفذ كما يأتى:

خرج المستشار الخازندار من منزله صباح يوم مشمس من أيام الشتاء فى حلوان بعد أن ودع زوجته وقبل طفليه وأخذ يمشى على مهل من منزله فى الجهة الشرقية من المدينة متجها إلى محطة السكك الحديدية ليستقبل القطار. ولم يبتعد عن منزله أكثر من خمسين مترا حتى انقض عليه شابان أحدهما فى التاسعة عشرة والثانى فى الثامنة عشرة وأطلقا عليه ست رصاصات سقط على أثرها قتيلا. وفر الشابان صوب الجبل المحيط بحلوان. رآهما أحد المارة فأسرع بإبلاغ البوليس الذى انطلق وراءهما. وسمعت زوجة المستشار صوت الطلقات، وأحس قلبها بأن شيئا أصاب زوجها. فخرجت حافية القدمين، ونظرت إلى بعيد لترى جثمانا على الأرض وأشخاصا ينحنون عليه. فجرت إليه لتجده غارقا فى دمائه. وأخذت تحضنه وتناديه وتبكى وتندبه وتصرخ صراخ اليأس. ولحق رجال الشرطة بالشابين وقبضوا عليهما وبدأ التحقيق معهما فى قسم حلوان. وأسرعت بحكم وظيفتى إلى القسم لحضور استجوابهما. رأيتهما هادئين باسمين. كان أحدهما ضخم الجثة طويلا وكان الآخر قصيرا نحيفا. وبدأ وكيل النيابة التحقيق، وسأل أولهما عن اسمه. فأجاب ولماذا تريد معرفة اسمى؟ وسأل الثانى

فأجاب اسأل زميلى يقل لك اسمى. وضحك، فنهرهما وكيل النيابة وأعاد السؤال. فذكر كل منهما اسمه؟ وسألهما هل أطلقا الرصاص على المتشار الخازندار؟ فردا بكل برود: ومن هو الخازندار. ثم امتنعا عن الرد على أى سؤال. فتوقف وكيل النيابة عن التحقيق. ولكن أحد رجال البوليس حاول التكلم معهما فضحكا ولم يردا عليه. فسكت. وبعد ذلك مال الصغير النحيف على أذن الضخم وأسر إليه شيئا استغرق بعده فى ضحك مكتوم حتى دمعت عيناه.

فقلت له: هل أستطيع أن أعرف ما الذى أضحكك؟

فرد مبتسما:

أصل صاحبى هذا خفيف الدم، وقال نكتة حلوة. وهو دائما يسلينى بإلقاء النكت.

تملكنى غضب وحنق لا حد لهما. قاتلان يقتلان مستشارا على درجة ممتازة من العلم والخلق، ويرملان زوجة شابة، ويبتمان طفلين، ولا يأبهان بشىء، ولا يحسان بفداحة الجرم الذى ارتكباه، ثم يتماديان فى الاستهتار بالمحقق ورجال الأمن. ويتبادلان النكات بدلا من الرد على أسئلة وكيل النيابة. لابد أن يكون فى الأمر شىء. إنهما لا يتصرفان كأشخاص عاديين لهم عقل وتفكير. هل هما مجنونان؟ لم أجد دلالة واحدة على هذا الافتراض. هل تناولا شيئا من المخدر؟ وهنا تذكرت تقريرا قدمه أحد ضباط الشرطة.

تقرير عن محكمة الإخوان

يقول هذا التقرير: إنه كان للإخوان المسلمين محكمة تنعقد لمحاكمة من تعتبرهم الجماعة خصوما لها أو خونة فى حق الوطن والدين. وحين تصدر حكمها على أحد منهم بالقتل أو بنسف داره، فهى تختار بضعة من الشبان تتراوح أعمارهم بين الثامنة عشرة والعشرين. وتلك هى السن التى تجرى فيها الدماء حامية فى عروق الشباب ورءوسه وتحوم فيها أطياف البطولة وخيالاتها على العقل، ويضطرب فيها الجسد والفكر فى فترة الانتقال الزمنى من مرحلة الطفولة المتاخرة إلى مرحلة الصبا المتقدمة. ثم تعد حجرة تضاء بشموع قليلة ويطلق فيها البخور يعبق فى الحجرة وتنطلق فى أرجائها سُحُبُه مضفية عليها رهبة المعبد وقداسته. ويؤمر الشباب بالدخول إلى الحجرة عند منتصف الليل بعد أن يخلعوا نعالهم خارجها ليجدوا منصة مرتفعة قليلا عن الأرض مفروشة بالسجاد وعليها وسائد مغطاة بالسواد يتكىء عليها شيخ يرتدى قلنسوة سوداء عيناه نصف مغمضتين وبيده مسبحة طويلة. فيجلسون أمامه بعد أن يرشدهم من أدخلهم إلى أماكن جلوسهم قبالة الشيخ. ويمضى الشيخ

فى همهمته وتمتمته ويدير حبات المسبحة والبخور ينطلق، والشيخ لا يزال مطرقا لا ينظر إليهم. وعيون الشباب تختلس النظر إليه. ويمضى فى صلاته الخافتة قرابة نصف الساعة. وتتعطل حواس الشباب عن التفكير فى أى شىء حتى لينسون أنفسهم. ثم يفتح الشيخ عينيه ويحدق فيهم طويلا. وتنحسر من الرهبة أبصارهم. وكأن له عينا يشع منها مغناطيس عجيب. إن تحديقه فيهم يخدرهم ويسلبهم القدرة على الحركة. والبخور يدغدغ إحساسهم وكأنه يدخل رءوسهم لتخيم سحبه على عقولهم ثم يقوم الشيخ متثاقلا ويقول لهم: حان وقت صلاة الفجر. ويصلى معهم ذاكرا فى صلاته آيات الذين يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ولهم الجنة. وتنتهى الصلاة ويصمت برهة ثم تدوى منه صيحة عالية: هل أنتم على استعداد للاستشهاد فى سبيل الله؟ فيقولون نعم. وهل أنتم مستعدون لقتل أعداء الله؟ فيقولون نعم. هل تقسمون على الوفاء بالعهد؟ فيقولون نقسم. فيقدم المصحف ليقسموا عليه ثم يقول: أستودعكم الله وموعدنا الجنة.

ويخرجون وفى عزمهم شىء واحد القتل والنسف.

قد يكون التقرير الذى قدمه الضابط إلى وزارة الداخلية مبالغا فيه، أو فيه شىء من الخيال. ولكن قد يكون متمشيا مع الأسلوب الذى سار عليه قاتلا المستشار الخازندار. أما أنا فلا أريد أن اتهم زعامة الإخوان المسلمين التى يرأسها الشيخ حسن البنا بنية القتل ولكن الجهاز السرى الذى كان يرأسه السندى. كان أقوى من أن يكبح جماحه أحد.

قنبلة زمنية لقتل كل القضاة

بعد موت النقراشى، عين الملك إبراهيم عبد الهادى، وهو عضو بارز فى حزب السعديين الذى كان يرأسه النقراشى- رئيسا للوزراء. وكان فى عزمه شىء واحد، وهو أن ينتقم لزعيمه وأن يقضى على جماعة الإخوان. فجردت الحكومة عليهم حملة لا هوادة فيها. وقبض على عدد كبير منهم أودعوا السجون، وادَّعى الكثير منهم أنهم لاقوا معاملة وحشية تناولت تعذيبهم وضربهم وحرمانهم من الطعام وزيارة الأقارب. ولم ترهب الحملة الإخوان فأرادوا أن يعملوا عملا يحدث دويا مروعا يدل على أنهم أقوياء، وأن حكومة عبد الهادى لم تقدر على قص جناحهم. وكان ذلك العمل سيحدث دويا مروعا حقا بل خرابا شاملا وضحايا كثيرة لو تم تنفيذه. ولولا المصادفة الحسنة لوقع ذلك الخراب. فقد كان أحد الجنود ممن انتهت خدمته اليومية يسير فى فناء محكمة الاستئناف العالى. فوجد سيارة جيب فيها صندوقان خشبيان

كبيران، وعلى بعد منها سيارة جيب فيها شخصان جالسان وشخص آخر قادم إليهما من ناحية السيارة الجيب. وتذكر رجل الشرطة أنه رأى وجه الشخص القادم من الجيب، وأنه يعرف ذلك الوجه. وعصر فكره قليلا ليتذكر أنه عضو فى جماعة الإخوان المسلمين. فجرى وراءه ليسأله هو ومن يركبون الجيب عن هويتهم. وعند اقترابه منهم أدركا أنه عرفهم. فقفزوا من السيارة وركض الثالث وضاعوا وسط زحام الجماهير. وأسرع الجندى إلى مركز الشرطة ليلقى إليهم باشتباهه. ولم يتردد ضابط المركز فى طلب خبير بالمفرقعات. وانتقل الجميع إلى عربة الجيب المحملة. ووجدوا أن الصندوقين متصلان بقنبلة زمنية، وفيهما كمية من الديناميت لو انفجرت لدمرت دار القضاء العالى بما فيه من قضاة يبلغ عددهم مائتين ومتقاضين يبلغون الألوف، بل وكانت دمرت جزءا كبيرا من الحى.

أما الصيد الثمين الذى لا يقدر بثمن لحكومة إبراهيم عبد الهادى فقد عثر عليه فى أحد المنازل عند تفتيشها. حين وجد سجلا كاملا يحوى التنظيم والخلايا السرية لجماعة الإخوان المسلمين وأسماء أعضائها كاملة. ومن المصادفات العجيبة أن هذا الكشف الذى أودع فى أضابير إدارة الأمن العام أيام حكم إبراهيم عبد الهادى، كان أثمن هدية تلقاها المرحوم جمال عبد الناصر من حكومة ما قبل الثورة. لأن هذا الكشف للتنظيم السرى ساعد عبد الناصر فى القضاء على الإخوان المسلمين، بعد حادث الاعتداء عليه وهو يخطب فى ميدان المنشية فى الإسكندرية إذ أطلق عليه أحد جماعة الإخوان النار ولم يصبه. وكان عبد الناصر معهم بالغ القسوة، إذ شنق اثنى عشر من كبار زعمائهم ونكل بأعضاء التنظيم السياسى تنكيلا شنيعا إذ أودعوا بالآلاف فى السجون والمعتقلات وعذب بعضهم حتى الموت، وحرمت أسرهم من معاشهم.

ولعلها مفارقة عجيبة أن إبراهيم عبد الهادى حكم عليه فى عهد الثورة بالإعدام، لأنه عذب الإخوان المسلمين، ثم خفف الحكم إلى الأشغال الشاقة المؤبدة.

مصرع الشيخ حسن البنا

كان الشيخ حسن البنا يعلم أن أيدى كثيرة تتربص به لقتله. فكان يحتاط لنفسه كثيرا ويسير دائما بصحبة حرس. ولكن الأيدى المتربصة كانت وراءها عيون ترقب تحركه ليل نهار وتتبع خطاه أينما سار. وكانت الأيدى المتربصة أيدى قوية تدعمها رءوس كبيرة تخشى من الشيخ حسن البنا أن يطيح بها كما أطاح حسب اعتقادها بالخازندار والنقراشى وأحمد

ماهـر. وكان الحرس الحديدى قـد عجز عن قتل النحاس مرتـين، ولم يعد هناك صبر على تجربة ثالثة لو فشلت، فقد تجد ردا صارما.

لقد وجد الراغب فى القتل له من ينفذ جرائمه فلم لا يجرب؟ إنه ضابط بوليس كبير. كان يقتل المجرمين أو ذوى الشـبهة. وأصبح الإقليم الذى يديره نظيفا منهم واسـتحق على ذلك ثناء ومكافأة. ولقد تنبه إليه رجال الحاشية، فعهدوا إليه أمر الشيخ حسن البنا. ولم يتردد هو بدوره فى القيام بالمهمة الموكولة إليه.

وذات ليلة خرج الشـيخ حسـن البنا لزيارة أحد أصدقائه، ولم يصحبه حرسه لأن صديقا له اسـتعجل لقاءه. وطلب الشيخ البنا حرسـه ولم يكن موجودا، فخرج بغير صحبتهم. ولم يدر أن سـيارة كانت فى انتظاره وأنها أخذت تتبع سيارته. ويشاء سوء حظه أن يكون منزل صديقه فى جهة غير آهلة بالسـكان وغير محروسة بالشرطة. وهم الشيخ بالنزول فتقدم أحد الذين كانوا فى السيارة الثانية وأطلق النار. أصيب الشيخ إصابة بالغة ولم يمت. وأسرع المارة إلى مركـز البوليس يخطرونـه بالحادث وانتقل البوليس. ولكن الإسـعاف لم يحضر إلا بعد مرور سـاعة على إصابة الشـيخ حسـن البنا، وكان دمه قد نزف كله. فهل أبطأ البوليس فى إخطار الاسعاف أو أبطأ الإسعاف الذى نقله إلى المستشفى فى حال ميئوس منها؟ الجواب عند الحرس الحديدى الثانى والرءوس الكبيرة. وقد حدثت ليلة قتل الشيخ البنا قصة طريفة. فقد كان يوسـف رئيس الحرس الحديدى يسـمع الراديو فى آخر نشرته الإخبارية. فسمع خبر الاعتداء على المرحوم الشـيخ البنا. فذهب إلى التليفون وطلب جناح الملك فى القصر. فرد عليه أحد أتباع الملك. فأخبره أنه يريد التحدث إلى الملك. وعاد رجل الحاشية يقول:

قل لى ماذا تريد لأن الملك مشغول.

فقال له: أرجو ان يكون جلالته مسرورا منا.

رجل الحاشية: مسرور على ماذا؟

قال يوسف: على قتل حسن البنا.

فضحك رجل الحاشية وذهب وأخبر الملك. وعاد يقول: مولانا يقول لك اتلهى على عينك ما شأنك أنت... انهم غيرك!!

الهضيبى يطلب مقابلتى

فى منتصف شهر مايو (أيار) ١٩٥٢ اتصل بى صديق هو الأستاذ محمود عبد اللطيف، وكان يشـغل منصب رئيس نيابة وفى الوقت نفسـه كان عضوا بارزا فى جماعة الإخوان المسلمين.

ويعنى هذا طبعا أنهم لم يكونوا يخافون على أنفسهم من أن تنكل حكومة الهلالى الذى كنت وزيرا فيها بهم.

قال الأستاذ عبد اللطيف: إنه يريد مقابلتى. ولما تقابلنا قال: إن غرضه من زيارتى أن يجمعنى فى منزله بالأستاذ الهضيبى خليفة الشيخ حسن البنا.

قلت: هل تكلمت مع الهضيبى فى ذلك؟

قال: نعم والهضيبى يرحب بالاجتماع.

وحددنا عصر يوم للاجتماع. وذهبت فى الموعد إلى منزل عبد اللطيف فى شارع الهرم، ووجدت فى حديقة المنزل عدة أشخاص جالسين عرفت منهم الشيخ الباقورى وعبد الحكيم عابدين. أما الهضيبى فكان جالسا على فوتوى ضخم. حييت الجميع ثم انتقلنا إلى داخل المنزل. وأجلسنى عبد اللطيف مع الهضيبى فى كنبة واحدة وقدم الشاى. وأخذ عبد الحكيم عابدين بالمبادرة فرحب بوجهه الضاحك دائما. وقال: إن الإخوان يكنون لى حبا كثيرا (مع أن معلوماتى عكس ذلك) وإنهم يريدون معى حوارا مثمرا.

قلت: وأنا بدورى أريد حوارا مع الإخوان صريحا وإنى أرحب بالاجتماع معهم، لأنى أرغب التكلم فى أشياء كثيرة تدور فى البلد ويقوم الإخوان بدور كبير منها، وأنى أرجو أن تتعرفوا إلىَّ شخصيا لا عن طريق الشائعات التى يطلقها قسم الدعاية فى منظمتكم.

قال عبد الحكيم عابدين: إننا لا نطلق عليك شائعات.

قلت: يا عبد الحكيم لست وحدى الذى تطلقون عليه الشائعات. إن قسم الدعاية عندكم لم يترك وزيرا أو سياسيا أو نائبا أو صحفيا شهيرا إلا وأطلق عليه أشنع التهم ومرغ به وبسمعته السياسية أو الشخصية فى التراب.

ثم سكت. ولاحظت أن الهضيبى صامت ينظر حينا من خلف نظارته إلى السقف وحينا إلى البساط. فطلبت منه أن يتكلم وقلت: ما رأيك. ولكنه هز رأسه قائلا: أرجو أن تكمل.

استأنفت كلامى وقلت:

يا أستاذ هضيبى، لو أنكم اتبعتم الوسائل السليمة فى دعوتكم ودعوتم إلى سبيل ربكم بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلتم بالتى هى أحسن، لما وقع ضدكم ما وقع من اضطهاد، ولما قتل المرحوم الشيخ حسن البنا. لأن العنف يولد العنف ولا توجد حكومة تقابل القوة باللين والمهانة.

أنتم شعاركم الإخوان سيف ومصحف، والإخوان رهبان الليل وفرسان النهار، وقد طبقتم شعاركم بالقتل والنسف. إنكم الآن تجمعون كميات كبيرة جدا من الذخائر، فماذا تنوون أن

تصنعوا بها. إن فى منظمتكم عددا كبيرا من ضباط الجيش والبوليس، وقد أمكنكم تنفيذ ذلك بما سميتموه مشروع السنوات الخمس.

وبمقتضى هذا المشروع يقسم الإخوان أنفسهم على المدارس والكليات فى الجامعة والكليات العسكرية، وبعد خمس سنوات يكون قد تخرج منهم ضباط بوليس تسعَوْن لإدخالهم فى القسم السياسى فى وزارة الداخلية وحرس الوزراء، وضباط فى الجيش ليدخلوا إدارة المخابرات العسكرية والحرس الملكى، ومهندسون ليلتحقوا بمصلحة التليفونات والسكك الحديدية. وبذلك تكون فى أيديكم المراكز الحساسة فى البلاد للقيام بعمل انقلاب.

وهنا لاحظت اصفرارا على وجوههم جميعا ونظرات يتبادلونها فيها شىء من الهلع.

وتابعت: نحن الحكومة نعرف ذلك ونسكت عليه لأن حجتكم من جمع الذخائر هى محاربة الإنجليز فى القنال لطردهم. ولكن نعرف أيضا أنكم تريدون قتل الملك وقتل كثير من الساسة. لقد ضبطنا من أسبوع عامل المصعد فى قصر القبة وهو يحمل مسدسا. ولولا أن الملك بات ليلة خارج القصر لقتله عامل المصعد. وهذا العامل عضو فى جماعة الإخوان. فماذا تقول يا أستاذ هضيبى. مع أن الملك استقبلك فى قصره على أثر تعيينك رئيسا للجماعة، وأفاضت الصحف فى وصف حرارة الاستقبال وثقة الملك بك.

ولما لم يرد الأستاذ الهضيبى مضيت قائلا: اسمع يا أستاذ لقد طلب منى صديقى عبد اللطيف أن أقابلك. وها أنا ذا أقابلك على أساس أن نتكلم على الحال الحاضرة. وأود أن أعرف منك وجهة نظركم ومآخذكم عليها. وأعدك بأن أتعاون معكم على القيام بإزالة كل ما نراه مخالفا للمصلحة العامة.

ولكن الأستاذ الهضيبى ظل ينظر إلىَّ مشككا كأننى أحاول جره إلى مصيدة دون أن يرد.

قلت: يا أستاذ هضيبى هل ترى كل شىء على ما يرام؟

قال الهضيبى: إننى لا أجد شيئا يدعو إلى الملاحظة.

قلت: أرى أنك لا تثق بى. فهل تثقون بأمريكا أكثر منا؟

قال عبد الحكيم: ما هذا يا أستاذ مرتضى.

قلت: نعم! إن الأمريكيين يرون فيكم حاجزا قويا ضد الشيوعية، باعتبار أن دعوتكم إسلامية وأن الإسلام ضد الشيوعية. ويحاولون كثيرا الاتصال بكم.

قال عبد الحكيم عابدين: قد يكونون متفقين معنا فى وجهة النظر.

كل ذلك والهضيبى لا يتكلم.

قلت: يا أستاذ هضيبى، أليس لديك شىء تقوله؟

قال الهضيبى: وماذا تريد أن أقول؟

قلت: لقد جئت إلى هذا الاجتماع بقلب مخلص لنتعاون معا على إزالة أسباب تذمر الشعب، لكنى أرى بوضوح أنك لا تريد ذلك. ولا أدرى لماذا طلب إلىّ أن اجتمع بك.

ووجدت ألاّ فائدة من الحوار ونهضت مسرعا وانصرفت. وأنا أرى أن البون شاسع بينه وبين المرحوم الشيخ حسن البنا.

ولابد لى هنا من أن أقول كلمة عن الإخوان المسلمين.. فقد بدأ الإخوان دعوة أساسها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من الناحية الدينية، ثم العمل على نشر العدالة الاجتماعية والمساواة بين الطبقات وإنهاء الاحتلال البريطانى. ولقيت دعوتهم صدى كبيرا فى نفوس الشباب الذين لم تتدنس نفوسهم بعد بالفساد وهم يتطلعون إلى مستقبل أفضل لهم ولبلادهم ويريدون أن يمحوا عار الاحتلال البريطانى عن وطنهم. وأخذت الجماهير تتسابق إلى الالتحاق بالدعوة. ووجدت الحكومات فى هذه الدعوة خطرا عليها فحاربها الوفد ثم حزب السعديين من بعدهم. وكان القصر يخشاها أكبر خشية. وساعد على محاربة الدعوة، الاغتيالات السياسية وعمليات النسف التى قام بها التنظيم السرى للإخوان. وفى اعتقادى أن التنظيم السرى كان المارد الذى عجزت الهيئة العليا للإخوان عن وضعه فى القمقم بعد خروجه وانطلاقه وإنى أذكر ان المرحوم الأستاذ البنا حينما روع بالاغتيالات التى قام بها بعض الإخوان، وقد صرح فى الصحف بأن هؤلاء القتلة ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين. إنى أعرف الكثيرين من الهيئة العليا للإخوان ولى منهم أصدقاء أعتز بصداقتهم، ولهم من سماحة الإسلام وأخلاقه الشىء الكثير، ولا أعرف عنهم نزعة الشر والقتل. وأظن أنه جاء وقت أصبحوا فيه لاحول لهم ولا قوة إزاء التنظيم السرى.

وأن الأستاذين البنا والهضيبى كانا غير قادرين على الحد من قوة الجهاز السرى والتسلط عليه.

❑❑❑

١ – الملك فاروق .

٢ – الملك فاروق يستمع منصتا إلى الشيخ الشعشاعى .

٣ – إبراهيم عبد الهادى الكشف الذى ضبطه استخدمه عبد الناصر للقبض على الإخوان المسلمين .

٤ – حسن البنا أطلق عليه الرصاص ولم تحضر عربة الإسعاف حتى نزف دمه كله .

٥ – اليوزباشى جمـــال عبد الناصر أثناء وجوده فى العلمين عام ١٩٤٢ .